## محاضرة 9:

## التأثيرات المغربية الاندلسية في العهد المريني. 1244م – 1465م

اهتم المرينيون اهتماما كبيرا بالفن المعماري، فشكل الفن المريني مدرسة قائمة الذات تمتاز بهندسة معمارية دقيقة وهندسة فنية تمتاز بدقة النحت والنقش والاعتناء بالساعات المائية، مثل المدرسة البوعنانية بفاس التي تمتاز بتزويق جدرانها بالفسيفساء والزليج واستعمال الخشب ونحته وتصفيفه

وقد قل الاقتباس والتقليد القديمين واعتمد على المدارس الفنية الأندلسية في النحت على الخشب والرخام بالتلوين والتهذيب. وأعانهم الخط العربي بجمال أشكاله وبساطتها على جمال النقش .

هذا وقد ازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهد بني مرين الذين اصبحوا أقوى ملوك افريقيا الشمالية إذ بالرغم من أصلهم الصحراوي فإن هؤلاء الرجال استطاعوا بفضل اتصالهم المزدوج ببني نصر ورثة الحضارة الأندلسية وبالموحدين، التكيف والانسياق في مجريات الحضارة تبعا لمقتضيات المدنية فاستمدوا من معطيات الفكر الاسلامي الذي تبلورفي اتجاههم الى إقامة المدارس الفخمة والمحصنة والمساجد وقباب الأضرحة والفنادق المزخرفة التي أضفت على المغرب المريني طابعا خاصا من الروعة والبناء.

هذه هي المظاهر التي يمكن أن نستخلص منها صورة الفن المريني الذي بدأت تتبلور فيه مجالي الازدواج بين الطابعين الأندلسي والمغربي في شكل جديد سمي بالفن الاسباني الموريسكي، وبالرغم من التأثيرات الأندلسية وسمة هذا الفن فإنه اصطبغ بسمة خاصة، إذ عوضا عما كان يذكر المهندس الأندلسي من رغبة في تحقيق التوازن بين القوى في المعالم المعمارية، هدف المهندس المغربي إلى ضمان متانة الهيكل بالإضافة إلى ما كان يشعر به من حاجة إلى مزيد من الزخرفة والتنسيق.

وعموما فالفن المريني يمتاز بالمغالاة في التوريق والتسطير والنقش مع قلة توازن بين الأجزاء وعدم جودة المواد فإن المجموع ظل كما يصفه المؤرخ أندري جوليان واضح المعالم متوازي النسب تتجانس نقوشه، تجانسا رائعا ضمن الحيز الذي يملأه، هذا إضافة إلى ما انطوت عليه الألوان من دقة وتجانس كاملين.

هذا بشكل عام أما إذا أردنا أن نفصل ما سبق ذكره، نجد أن المرينيين قد برعوا في هذا المجال بشكل لافت، رغم أن اسبانيا لا تحتفظ بأي مسجد مريني فإن هذا يقتضي أن نبحث عن هذه المساجد في افريقيا الشمالية، ومن الملاحظ أن أبعادها أصبحت بصورة عامة أكثر صغرا وأصبح نظامها أكثر بساطة مما هي عليه في مساجد الموحدين في مراكش والرباط واشبيلية وتبدو بعض المعالم فيها موروثة عن عصر الموحدين، كالقبة المُعرقة التي نراها في المسجد الكبير بتازة الذي خلف مسجدا من القرن 12 م وبالمسجد الكبير في فاس الجديد، هذان البناءان يحددان رابطة بين الأسلوب الموحدي والأسلوب المريني. ظهر التميز المريني في مساجد فاس بوجود أجنحة الحرم متجهة بشكل متواز لجدار القبلة وليست قائمة على الجدار

. يرى الاستاذ مارسي أن تبني هذا المخطط محاكاة لبناء المساجد المحلية القديمة، والتي كانت هي ذاتها مستوحاة من بيوت الصلاة الأولى في المشرق. بالإضافة إلى المساجد أنشأ بنو مرين عددا وافرا من المدارس في المدن الهامة التابعة لهم ، في فاس كما في سلا، ومكناس وتازة وتلمسان، وفي مدينة الجزائر، ومن أكمل منشآت الفن الاسلامي مدرسة الصهريج، ومدرسة العطارين، وليس بإمكاننا تجاوز مدرسة "البوعنانية" وهي أكثر المدارس فخامة.

هذا وقد استعملت الزخرفة المرينية نفس المواد التي استعملت في زمن الموحدين غير أن بعض الخصائص التقنية قد توطدت من ذلك مثلا: أصبح الحجر ذو استعمال محدود جدا لأنه مادة للكسوة والزخرف المنحوت أما الجص المنقوش بأداة حديدية والمسمى نقش الحديدة أو المقولب أحيانا فهو يغطي الجدران الداخلية والخارجية في مُصليات المساجد كما في أفنية المدارس، ويؤلف القباب ذات

المقرنصات والجص الداخلي الملون بألوان مبسطة لكن أهم ملاحظة تسجل بالنسبة للعمارة الدينية على عهد بني مرين هو زيادة عمق بيت الصلاة على طول جدار القبلة. من جهة أخرى نلاحظ اهتمامهم ببلاط المحراب وهو البلاط المحوري بدليل استئثاره بالزخرفة وبوضع قبتين الأولى عند بدايته أمام المحراب والثانية عند نهايته بالواجهة المطلة على الصحن، بعد أن كان الموحدون يعنون بأسكوب المحراب عمارة وزخرفة واتساعا عن عمق بيت الصلاة، ووضع ثلاث قباب أو أكثر على أسكوب المحراب كما هو واضح في الكتبية وغيرها من مساجد الموحدين

إن الجامع الكبير في تازة وكذلك مسجد أبي يعقوب المريني في وجدة يحتفظان أحيانا بتلك الفخامة التي يتسم بها الفن الموحدي، ولكنهما يضيفان رقة الأشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقربصات والزليجات، ويلاحظ في المدرسة العنانية بفاس تشابه واضح في الهندسة مع مدارس الشرق. وهذه المدرسة هي مدرسة ومسجد في آن واحد مجهزة بمنارة ومنبر للجمعة.ومن خواص الفن المريني النقش على الخشب و الأدهان البديعة و الشمسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج.

تشترك مساجد المرينيين في بناء الأكتاف بالآجر والحوائط "بالطابية" التي تسعف رغبتهم المتزايدة في كثرة البناء والتشييد بالسرعة الممكنة والاقتصاد في النفقة والوقت غير أن اهتمام بني مرين كان على العكس من الموحدين مركزا ببلاط المحراب الذي تجمعت فيه أهم زخارفهم كما أقاموا على البلاط المحوري نفسه العمودي على القبلة قبتين واحدة أمام المحراب والأخرى على نهاية البلاط من جهة الصحن، بعد أن كان الموحدون يقيمون ثلاث قباب أو أكثر على أسكوب المحراب ويمزج الفن المريني بين الضوء والظل في تشكيلات رائعة تشكل سمفونية تضاف إلى مهرجان الألوان.

قصارى القول يمكن إجمال أهم الخصائص الزخرفية المعمارية خلال العهد المريني بأن:

- منشآتها كانت متواضعة المساحة ضئيلة الحجم نسبيا، فلزم تعويض ذلك بانتشار الزخرفة المعمارية انتشارا يغطي جميع السطوح في الحوائط والسواري والعقود و السقوف، وعلى خلاف خطوط عناصر الزخرفة الكبيرة أصبحت خطوط الزخرفة المرينية دقيقة رقيقة متداخلة منتشرة على جميع أرضية المساحة الزخرفية بحيث لايمكن تمييزها وفرزها إلا عن قرب وقد اكتسبت تنوعا في الألوان يضع انسجاما عاما لجميع العناصر والوحدات الزخرفية.
- عموما كان المرينيون أحسن مثال للنقل عن فن الاندلس الأصيل بعد أن بلغ ذروته في عصر بني الأحمر، والذي نلتمس فيه ازدواجية الطابع الأندلسي والمغربي في شكل جديد كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

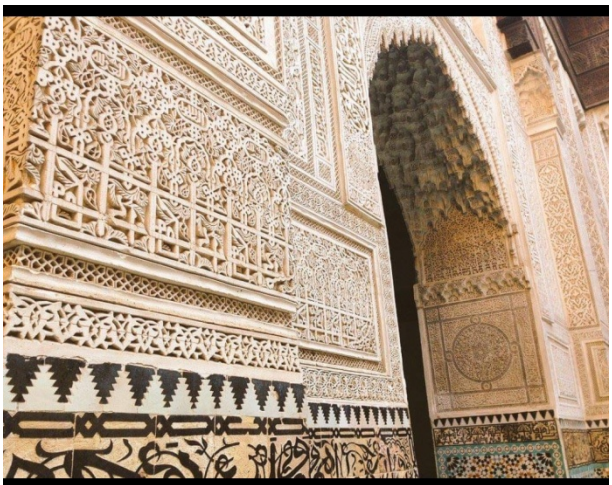

تفاصيل وزخارف بديعة من المدرسة البوعنانية بمكناس بناها السلطان ابي عنان فارس المريني في أواسط القرن الرابع عشر ، مكناس المغرب